



## تميم البرغوثي

*Tamim Al-Barghouti*



## في القدس

عَنِ الدَّارِ قَانُونَ الأَعَادِي

مَرَرْنَا عَلَى دَارِ الحَبِيبِ فَرَدَّنا  
وَسُورُهَا

فَمَاذَا تَرَى فِي القُدْسِ

فَقُلْتُ لِنَفْسِي رُبَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ  
حِينَ تَزُورُهَا

إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ جَانِبِ

تَرَى كُلَّ مَا لَا تَسْتَطِيعُ احْتِمَالُهُ  
الدَّرْبِ دُورُهَا

تُسَرُّ وَلَا كُلُّ الغِيَابِ

وَمَا كُلُّ نَفْسٍ حِينَ تَلْقَى حَبِيبَهَا  
يُضِيرُهَا

فَلَيْسَ بِأَمُونٍ عَلَيْهَا

فَإِنْ سَرَّهَا قَبْلَ الفِرَاقِ لِقَاؤُهُ  
سُرُورُهَا

متى تُبصرِ القدسَ العتيقةَ مرّةً  
حيثُ تُديرُها  
فسوفَ تراها العَيْنُ

في القدسِ، بائعُ خضرةٍ من جورجيا برمّ بزوجته  
يفكرُ في قضاءِ إجازةٍ أو في طلاءِ البيتِ  
في القدسِ، توراةٌ وكهلٌ جاءَ من منهنّاتِنَ العُليا  
يُفقهُ فتيةَ البُولُونِ في أحكامها  
في القدسِ شرطيٌّ من الأحباشِ يُغلقُ شارعاً في السوقِ،  
رشاشٌ على مستوطنٍ لم يبلغِ العشرينَ،  
قُبعةٌ تُحيي حائطَ المبكى  
وسياحٌ من الإفرنجِ شقراً لا يروُنَ القدسَ إطلاقاً  
تراهم يأخذونَ لبعضهم صوراً  
معَ امرأةٍ تبيعُ الفِجَلِ في الساحاتِ طُولَ اليومِ  
في القدسِ دَبُّ الجنْدِ مُنتعِلينَ فوقَ العِيمِ  
في القدسِ صلينا على الأسفلتِ  
في القدسِ من في القدسِ إلا أنتُ

وتَلَفَتَ التاريخُ لي مُتبسِّماً  
أظننتُ حقاً أنَّ عينك سوفَ تخطنهم، وتبصرُ غيرهم  
ها هم أمامك، متنُّ نصُّ أنتَ حاشيةٌ عليه وهامشٌ

أَحْسَبْتَ أَنَّ زِيَارَةَ سْتُرِيحُ عَنْ وَجْهِ الْمَدِينَةِ يَا بُنَيَّ

حِجَابَ وَاقِعِهَا السَّمِيكَ لَكِي تَرَى فِيهَا هَوَاكَ

فِي الْقُدْسِ كُلِّ فَتَى سِوَاكَ

وَهِيَ الْغَزَالَةُ فِي الْمَدَى، حَكَمَ الزَّمَانُ بَيْنِهَا

مَا زِلْتَ تَرْكُضُ إِثْرَهَا مُذْ وَدَّعْتِكَ بِعَيْنِهَا

رَفَقًا بِنَفْسِكَ سَاعَةً إِنِّي أَرَاكَ وَهَنْتَ

فِي الْقُدْسِ مِنْ فِي الْقُدْسِ إِلَّا أَنْتَ

يَا كَاتِبَ التَّارِيخِ مَهَلًا،

فَالْمَدِينَةُ دَهْرُهَا دِهْرَانِ

دِهْرٌ مَطْمَئِنٌّ لَا يَغْيُرُ خَطْوَهُ وَكَأَنَّهُ يَمْشِي خِلَالَ النَّوْمِ

وَهُنَاكَ دِهْرٌ، كَامِنٌ مِثْلَهُمْ يَمْشِي بِلَا صَوْتٍ حِذَا الْقَوْمِ

وَالْقُدْسُ تَعْرِفُ نَفْسَهَا،

إِسْأَلْ هُنَاكَ الْخَلْقَ يَدُلُّكَ الْجَمِيعُ

فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْمَدِينَةِ

ذُو لِسَانٍ، حِينَ تَسْأَلُهُ، يُبَيِّنُ

فِي الْقُدْسِ يَزْدَادُ الْهَلَالَ تَقْوَسًا مِثْلَ الْجَنِينِ

حَدْبًا عَلَى أَشْبَاهِهِ فَوْقَ الْقَبَابِ

تَطَوَّرَتْ مَا بَيْنَهُمْ عَبْرَ السِّنِينَ عِلَاقَةُ الْأَبِ بِالْبَنِينَ

فِي الْقُدْسِ أُنْبِيَّةٌ حَجَارَتْهَا اقْتِبَاسَاتٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ

فِي الْقُدْسِ تَعْرِيفُ الْجَمَالِ مُثَمَّنُ الْأَضْلَاعِ أَزْرَقُ،

فَوْقَهُ، يَا دَامَ عِزُّكَ، قُبَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ،

تَبْدُو بِرَأْيِي، مِثْلَ مِرَاةٍ مَحْدَبَةٍ تَرَى وَجْهَ السَّمَاءِ مُلَخَّصًا فِيهَا

تُدَلِّلُهَا وَتُذَنِّبُهَا

تُوزَعُّهَا كَأَكْيَاسِ الْمُعَوَّنَةِ فِي الْحِصَارِ لِمَسْتَحِقِّيهَا

إِذَا مَا أُمَّةٌ مِنْ بَعْدِ خُطْبَةِ جُمُعَةٍ مَدَّتْ بِأَيْدِيهَا

وَفِي الْقُدْسِ السَّمَاءُ تَفَرَّقَتْ فِي النَّاسِ تَحْمِينًا وَنَحْمِيهَا

وَنَحْمَلُهَا عَلَى أَكْتِافِنَا حَمَلًا

إِذَا جَارَتْ عَلَى أَقْمَارِهَا الْأَزْمَانُ

فِي الْقُدْسِ أَعْمَدَةُ الرُّخَامِ الدَّاكِنَاتُ

كَأَنَّ تَعْرِيقَ الرُّخَامِ دِخَانُ

وَنَوَافِدُ تَعْلُو الْمَسَاجِدَ وَالْكَنَائِسَ،

أَمْسَكَتْ بِيَدِ الصُّبْحِ تُرْبِيهِ كَيْفَ النَّقْشُ بِالْأَلْوَانِ،

وَهُوَ يَقُولُ: "لَا بَلْ هَكَذَا"،

فَتَقُولُ: "لا بل هكذا"،

حتى إذا طال الخلافُ تقاسما

فالصبحُ حُرٌّ خارجَ العتباتِ لكنْ

إن أرادَ دخولَها

فَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى بِحُكْمِ نَوَافِدِ الرَّحْمَنِ

في القدس مدرسةً لمملوكٍ أتى مما وراءَ النهرِ،

باعوه بسوقِ نَخَاسَةٍ في إصفهانَ لتاجرٍ من أهلِ بغدادٍ أتى حلباً  
فخافَ أميرُها من زُرْقَةٍ في عَيْنِهِ اليُسْرَى،

فأعطاهُ لقافلةً أتت مصراً، فأصبحَ بعدَ بضعِ سنينَ غَلَّابَ المغولِ  
وصاحبَ السلطانِ

في القدس رائحةٌ تُلَخِّصُ بابلًا واهندَ في دكانِ عطارٍ بخانِ الزيتِ

واللهِ رائحةٌ لها لغةٌ ستَفْهَمُها إذا أصغَيْتُ

وتقولُ لي إذ يطلقونَ قنابلَ الغازِ المسبِّلِ للدموعِ عَلَيَّ: "لا تحفلِ بهم"

وتفوحُ من بعدِ انحسارِ الغازِ، وَهِيَ تقولُ لي: "أرأيتُ!"

في القدس يرتاحُ التناقضُ، والعجائبُ ليسَ ينكرُها العبادُ،

كأَنَّها قِطْعُ القِمَاشِ يُقَلَّبُونَ قَدِيمِها وَجَدِيدِها،

والمعجزاتُ هناكُ تُلمَسُ باليَدَيْنِ

في القدس لو صافحت شيخاً أو لمست بنايةً

لوجدت منقوشاً على كفيك نصّ قصيدة

يا بن الكرام أو اثنتين

في القدس، رغم تتابع التّكبات، ريحُ براءة في الجوّ، ريحُ طفولةٍ،

فترى الحمام يطيرُ يعلنُ دولةً في الريح بين رصاصتين

في القدس تنتظم القبورُ، كأنهنّ سطورُ تاريخِ المدينة والكتابُ تراها

الكل مرّوا من هنا

فالقدسُ تقبلُ من أتاها كافراً أو مؤمناً

أمرر بها واقراً شواهدّها بكلّ لغاتِ أهلِ الأرضِ

فيها الزنجُ والإفرنجُ والقفجاقُ والصّقلابُ والبشناقُ

والتاتارُ والأتراكُ، أهلُ الله والهلاكُ، والفقراءُ والملاكُ، والفجارُ

والنساكُ،

فيها كلُّ من وطئَ الشّرى

كانوا الهوامشَ في الكتابِ فأصبحوا نصّ المدينة قبلنا

يا كاتب التاريخ ماذا جدّ فاستنيتنا

يا شيخُ فلتُعدِ الكتابةَ والقراءةَ مرةً أخرى، أراك لحنّت

العين تُغمِضُ، ثم تنظرُ، سائقُ السيارةِ الصفراءِ، مالَ بنا شمالاً نائياً  
عن باهما

والقدس صارت خلفنا

والعين تبصرُها بمرآةِ اليمينِ،

تغيّرتْ ألوانُها في الشمسِ، من قبلِ الغيابِ

إذ فاجأني بسمه لم أدر كيف تسلّلتْ للوجهِ

قالت لي وقد أمعنتُ ما أمعنتُ

يا أيها الباكي وراءِ السورِ، أحقُّ أنتُ؟

أجُننتُ؟

لا تبكِ عينُك أيها المنسيُّ من متنِ الكتابِ

لا تبكِ عينُك أيها العربيُّ واعلمْ أنه

في القدسِ من في القدسِ لكنْ

لا أرى في القدسِ إلا أنتُ

#### Liens :

Web site du poète :

<http://tamimbarghouti.net/Tamimweb/default.htm>

Version anglaise du site :

<http://tamimbarghouti.net/Tamimweb/English/index.htm>

Fi Al-Quds (A Jérusalem), écouter le poème en arabe chanté par le poète : [http://www.dailymotion.com/video/x37qw2\\_al-barghouti-jerusalem](http://www.dailymotion.com/video/x37qw2_al-barghouti-jerusalem)

Poème « Commandeur des croyants » paru (en français) dans Al-Ahram n°624 du 23 au 29 août 2006 :

<http://tamimbarghouti.net/Tamimweb/English/Reviewsenglish.htm/ahramhebdo.htm>

Sur le site d'Al-Ahram : <http://hebdo.ahram.org.eg/arab/ahram/2006/8/23/litt0.htm>

Galerie de photo de Tamim :

<http://www.palestinetoday.org/gallery/palestinian-poet-tamim-al-barghouti?page=1>

Proposé par <http://www.oasisfle.com>

